منهج الشيخ عبد القادر مُلا حُوَيْش العَانِي
في تفسيره للقرآن الكريم
" بيان المعاني "

إعداد
د. محمود علي عثمان عثمان

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وسلّم تسليماً كثيراً وبعد :

فإن الاهتمام بما يتعلق بكتاب الله - تعالى - من علم ، هو أمر على رأس العلوم جميعاً ، وعلم التفسير أعلاها شأنا وأقواها برهانا ، وأوثقها بنيانا ، فإنه مأخذها وأساسها ؛ لأن موضوعه الكتاب المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لهذا اهتم العلماء بتفسيره ، وتجلية معانيه ، وأخذ الأحكام والآداب والأخلاق منه .

فقد بذل علماء المسلمين أقصى ما يستطيعون في خدمة القرآن الكريم تعلماً وتعليماً وتفسيراً وبياناً، وقامت العلوم الإسلامية في اللغة والبلاغة والنحو لخدمة النص الكريم وفهمه، وأقيم صرح علوم الحديث لأن السنة النبوية شارحة ومبينة لمجمله ومفصلة لعامه وهي التطبيق العملي لهداياته، وكتبت الموسوعات الفقهية على ضوء الأصول التي وضعها المجتهدون لاستنباط أحكامه.

وتعددت المدارس التفسيرية حسب اختصاصات المفسرين واهتماماتهم الشخصية وتلبية لحاجات المجتمعات التي عاشوا فيها.

وفي القرن الرابع عشر الهجري كان زخم في الإنتاج في جميع مجالات المعرفة وأخذ تفسير القرآن الكريم والدراسات القرآنية الأخرى بحظ وافر نظراً لتيسر سبل تلقي المعلومات وتطور وسائل الطباعة والنشر والاتصال. وقد استمر عمود التفسير المتعارف عليه ومدارسه المشهورة: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير اللغوي والتفسير الفقهي والتفسير العقدي والتفسير الموسوعي .

ومن التفسير الموسوعي (العلم) وجد في هذا القرن تأليف نهج صاحبه نهجاً خاصاً في تفسير القرآن الكريم ، وهو التفسير حسب ترتيب النزول وهو تفسير "بيان المعاني" للشيخ عبد القادر ملا حويش ، فأحببت أن يكون هذا المنهج وصاحبه مجال بحثي، رغبة منّي في تجلية هذا التفسير ومنهج صاحبه فيه ، خاصة أن هذا التفسير لم يُخدم كما ينبغي بدراسة مستقلة – حسب علمي المتواضع وما قمت به من تحرٍ – وبيان ما لهذا التفسير وما عليه ، ثم أحببت بحث مسألة تفسير السور حسب ترتيب النزول وما حكم تفسير القرآن حسب النزول وما هي الدوافع التي جعلت الشيخ عبد القادر يسلك هذا المسلك ويفسر القرآن الكريم بخلاف ترتيب المصحف . أسأل الله تعالى أن يلهمني الصواب ويسدد خطاي وأن يجنبني الزلل في القول والعمل.

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة :

أما المقدمة فقد حدّدت فيها الموضوع مع شرح أهمّيّته ، ومقدار الفائدة منه ، والباعث على اختياره .

وفي المبحث الأول : ذكرت ترجمة الشيخ عبد القادر ملا حويش ، وجعلته تحت مطلبين

المطلب الأول : حياته الشخصية وثقافته العلمية

المطلب الثاني : مؤلفاته

وفي المبحث الثاني : بيّنت منهج الشيخ عبد القادر ملا حويش في تفسيره ، وجعلته تحت ثلاثة **مطالب** :

المطلب الأول : منهجه في التفسير.

المطلب الثاني : تحدّثت فيه عن المزالق والعثرات التي وقع فيها الشيخ عبد القادر في تفسيره .

المطلب الثالث : جعلته بعنوان " تفسير بيان المعاني في الميزان " .

المبحث الأول
ترجمة الشيخ عبد القادر ملا حويش

المطلب الأول

حياته الشخصية وثقافته العلمية

هو الشيخ العلامة عبد القادر محمد بن ملا [1] حويش السيد محمود الغازي العاني من أعلام الفرات ، العالم المفسِّر القاضي، ولد الشيخ في بلدة عانة بالعراق سنة (١٢٩٨هـ - ١٨٨٠ م) ، درس في بغداد رحل إلى دير الزور في سورية واستوطن بها، لازم الشيخ حسين الأزهري وأجيز منه ، كان وقوراً، مهيباً، هادئاً، صوفياً، نقشبندي الطريقة . [2]

تلقى علومه الابتدائية وقسماً من الإعدادية في المدارس الحكومية ثم درس الفقه في المدرسة الشرعية بدير الزور .

نال شهادة في العلوم العملية والنقلية من المجلس العلمي ببغداد، ثم نال شهادة في علم الحديث عن المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق ، ثم شهادة في العلوم الفقهية من دمشق ، ثم شهادة المحاماة من نقابة المحامين بدمشق.

جمع علوم العربية والحديث والأصول والتوحيد والمنطق إلى غير ذلك ، وأتقن اللغة التركية والفرنسية ، وعمد إلى كتب المستشرقين الفرنسيين يطالعها إلى جانب علوم العربية .

شغل من عام ١٩١٠- ١٩٢٧ وظيفة رئيس كتاب المحكمة الشرعية و البداية والاستئناف ، و عضو محكمة بداية ، و قاضياً شرعياً ، و مدرساً ، و خطيباً ، وواعظاً في بلدتي الميادين و البوكمال ، وشغل من عام ١٩٢٨-١٩٣٥

---

(١) كلمة (ملا) فارسية وهي تستعمل لدى الشعوب الأعجمية محرفة من (مولى) أي سيد، و تعني في الدارجة الشيخ أو الأستاذ، والملا هو عالم الدين الذي نال العلم عن طريق الدراسة والإسناد على يد علماء آخرين وهو باللغات الآرية القديمة مثل الكوردية والفارسية والأوردية والبشتونية وغيرها مما تسمى بالشعوب الإيرانية .

(٢) الطريقة النقشبندية هي إحدى أشهر طرق الصوفية وتُنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبَنْد ، وهي طريقة سهلة كالشاذلية من حيث الأذكار والأوراد- ، انتشرت هذه الطريقة: في بلاد فارس، وفي بلاد الهند، وآسيا الغربية. (انظر : "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ". المؤلف : الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني (٦٢/٢) وانظر للتوسع : "الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرِها" ، للشيخ فريد الدين آيدن ، و "الطريقة النقشبندية" ، لعبد الرحمن محمد سعيد دمشقية .

حاكم صلح جزائي و مدني وقاضياً شرعياً في الميادين والحسكة و عضواً في محكمة جنايات البلدتين المذكورتين ، ومن عام ١٩٢٩-١٩٤٠ قاضياً شرعياً وحاكم صلح في الجولان و الزوية والقنيطرة ، ومن عام ١٩٤١ - ١٩٤٩قاضياً شرعياً بدير الزور و الميادين ، ومن عام ١٩٥٠-١٩٥٣محامياً بدير الزور .

استمر في أوقات فراغه يتلو علوم القرآن الكريم والنحو والصرف والفقه ، ويعطي الدروس لطلاب كليتي الحقوق والشريعة في مجلسه حتى قبيل وفاته حيث أقعده المرض .

توفي رحمه الله ظهيرة يوم الأربعاء (١٥ربيع الأول ١٣٩٨هـ -١٩٧٨/٢/٢٢م) بدير الزور ودفن فيها يوم الخميس (١٦ ربيع الأول ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨/٢/٢٣م) في جنازة لم يشهد لها مثيل في المدينة

المطلب الثاني

مؤلفاته

جميع كتب الشيخ - رحمه الله - مخطوطة ، ولم يطبع منها سوى تفسيره المعروف " بيان المعاني " والذي فسره الشيخ حسب نزول القرآن الكريم منذ الآية الاولى وحتى آخر آية نزلت على النبيﷺ [١] وله كتاب في علم الفرائض (أحسن القول في الرد والعول) ، و كتاب حسن البيان في تجويد القرآن ، وديوان خطب ،وأحسن السنن في الأذكار ، والقول السديد في علم التوحيد ، وله كتاب في قواعد اللغة العربية ، والإرشاد في زمن الرشاد ، وأستاذان (ترجمة شيخين من شيوخه)، ورجل من الفرات [٢] .

---

(١) يقوم أبناء الشيخ حالياً بطباعة هذا التفسير على مرحلتين،المرحلة الاولى وهي إفراد قول الشيخ في تفسيره للآيات القرآنية الكريمة بإشراف أساتذة مختصين وإصداره بطبعة محققة ومفردة بجزء واحد واسمه « الموجز في بيان المعاني » تزيد صفحاته على الخمسمائة صفحة ، اما المرحلة الثانية فهي اعادة طباعة التفسير بأجزائه الستة بعد عرضها على لجنة مختصة مع مقارنتها بالمخطوط الاصلي للتفسير الموجود لدى دار البلخي بدمشق ، حيث تقوم هذه الدار على طباعته طباعة محققة والتعليق على الاسرائيليات و القصص والاحاديث الضعيفة وتخريجها ووضع هوامش وفهارس ليسهل التعامل مع هذا التفسير .

(٢) انظر ترجمته في : ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لأحمد العلاونة (١١٣/٢) و المستدرك على تتمة الأعلام للزركلي (الأول والثاني)لمحمد خير رمضان يوسف ص٦٣ ، وتكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان يوسف ص٦٩٩، و اتمام الأعلام ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي للدكتور نزار أباظة ومحمد رياض صالح ص١٦٣ .

التعريف بكتاب " بيان المعاني " للملا حويش العاني :

يقع الكتاب في سبعة مجلدات كبيرة ، وقد طبع في مطبعة الترقّي سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م، وقد جعلها في ثلاثة أجزاء ، جزءين للقسم المكي وجزء للقسم المدني ، ثم جعل القسم المكي في أربعة مجلدات أي لكل جزء مجلدان أما الجزء الثالث وهو المدني فيقع في مجلدات ثلاثة ، وقد رتبه المؤلف وفق نزول السور .

وقد ذكر المؤلف الهدف من وضع تفسيره ، فقال عند تفسير قول الله تعالى :ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الشورى: ٢٣ " هذا ولا معنى لقول من قال إن هذه الآية منسوخة بآية ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ سبأ: ٤٧ ، وهي آية مقدمة في النزول على هذه الآية لفظا ورتبة ، ومن المعلوم أن المقدم لا ينسخ المؤخر ....ثم قال : وهذا من جملة المرامي التي من اجلها أقدمت على هذا التفسير المبارك ورتّبته بحسب النزول ؛ ليعلم القارئ خطا القائلين بنسخ أمثال هذه الآية متى عُرِفت أنها مقدمة ..."[١] .

المبحث الثاني
منهج الشيخ عبد القادر ملا حويش في تفسيره

المطلب الأول

منهجه في التفسير

يتلخص منهجه في التفسير في النقاط التالية :

أولاً : ذكر مقدمة بين يدي تفسير السورة الكريمة . تتناول مكيتها ومدنيتها ، وعدد آياتها ، وكلماتها وحروفها ، وسبب تسميتها .

يبدأ الشيخ عبد القادر تفسير السورة ببيان مكيتها أو مدنيتها ، وبعد أي سورة نزلت ، وإن كان هناك آيات من السورة لم تنزل بمكة مثلاً وكان قد ذكر أن السورة قد نزلت بمكة فإنه يبين ذلك ، فمثلاً عند تفسيره سورة الشورى قال : نزلت بمكة بعد سورة فصلت عدا الآيات (٢٣إلى ٢٧ فإنهن نزلن بالمدينة)[٢] ثم يذكر عدد آيات السورة وعدد كلماتها وعدد حروفها ، أما تعريف المكي و المدني عند المفسر ، فقد ذكره عند تفسير سورة النحل عند تعرضه للآيات

---

(١) (بيان المعاني ٤/ ٣٨) .

(٢) (بيان المعاني ٤/٣٦)

المدنية فيها حيث قال : إن جميع ما نزل قبل الهجرة يسمى مكياً وكل ما نزل بعدها يعد مدنياً [١] .

ويذكر كذلك أسماء السورة وسبب تسميتها بذلك إن وجد ، ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير سورة البقرة فقال : (نزلت هذه السورة الكريمة في المدينة المنورة عدا الآية (٢٨١) فإنها نزلت بمكة وتسمى سورة الزهراء و **سنام القرآن** ... وسميت بالبقرة لورود ذكرها فيه و الزهراء لما روى مسلم مرفوعاً :" **اقرأوا** الزهراوين : **البقرة وآل عمران** ... **اقرأوا** البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة (**السحرة**) " [٢] ، **وتسمى سنام القرآن لأن سنام كل شيء أعلاه** [٣] ، وهي مائتان وست وثمانون آية وستة آلاف ومئة وإحدى وثمانون كلمة وخمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف لا نظير لها في **عدد الآي** [٤] ويذكر كذلك السور التي ابتدأت بنفس بدايتها أو ختمت **بنفس** نهايتها ومن ذلك عند تفسيره سورة الأنفال ، فقال : (نزلت بالمدينة بعد سورة البقرة عدا الآيات (**٣٠ إلى ٣٦**) فإنها نزلت بمكة وهي خمس وسبعون آية ،وألف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفاً لا يوجد في القرآن سورة مبدوءة بما بدئت به هذه السورة ، ويوجد سورتان **مختومتان بما ختمت** به وهي النساء والنور ، ومثلها في عدد الآي سورة الزمر فقط [٥].

ثانياً : الاتجاه الأثري

التفسير بالمأثور هو : ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم . [٦]

أ) تفسير القرآن بالقرآن

كثيراً ما كان المفسر يذكر في كتابه أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (فجاء بعجل سمين) **فقال** : **أي مشوي** لقوله في الآية ٦٩ من سورة هود (بعجل حنيذ) والقرآن يفسر بعضه فحمل عليه كما حمل المقيد على المطلق [٧] .

ب) تفسير القرآن بالسنة :

---

(٣) (بيان المعاني ٤/٢٦١)

(١) (صحيح مسلم ٢/١٩٧ حديث رقم ١٩١٠)

(٣) (المصباح المنير للفيومي مادة :سنم ص ٢٩١ط دار الكتب العلمية)

(٤) (بيان المعاني ٤/٥)

(٤) بيان المعاني (٥/٢٧٠)

(٥) بيان المعاني (٥/٢٧٠)

(٦) بيان المعاني (٤/١٤٩)

كان المفسر يستشهد بالأحاديث في تفسير القرآن وبيان معانيه وتخصيص عامه ومن ذلك ما أورده عند تفسير قول الله تعالى :چڑ ک ک ک ک چ النحل : ٩١ ، فقال الحكم الشرعي : وجوب الوفاء بالعهد إذا كان فيه صلاحاً و إلا فلا ، قال ﷺ:"من حلف يميناً ثم رأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه " (١) لأن العهد يمين وكفارته كفارة يمين وهذا من العام المخصص في السنة (٢)

ج) تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ﷺ

كان المفسر - يرحمه الله - يستشهد بأقوال الصحابة والتابعين ﷺ في تفسير القرآن وبيان معانيه ، والتفسير مليء باستشهادات الشيخ بأقوالهم ﷺ .

ثالثاً : الاتجاه اللغوي

أ) الشعر :

كان المفسر رحمه الله كثير الاستشهاد بالشعر وقد كان استشهاده بالشعر لأغراض كثيرة منها :

١) بيان معاني الألفاظ القرآنية وتوضيح غريبها : ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى : چ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ (المطففين: ٨ - ٩) حيث قال : (كتاب مرقوم مكتوب فيه بخط غليظ لأن الرقم الخط الغليظ بحيث يعلم ما فيه من اطلع عليه عن بُعد لأول نظرة بلا تفكر ولا إمعان ، قال الشاعر :

سَأَرْقُمُ فِي المَاءِ القَرَاحِ إِلَيْكُمُ عَلَى بُعدِكُمْ ، إِنْ كَانَ فِي المَاءِ رَاقِمُ (٣)

٢) الاستشهاد بالشعر العربي على مسألة عقدية أو حكم اعتقادي : ومن ذلك استشهاده بأبيات من الشعر لتأييد أنه من مات غرقاً أو حرقاً أو أكلته السباع أو الطير أو الحوت أصابه ما أصاب المقبور من عذاب القبر وذلك عند تفسير قول الله تعالى : چ ۇ ۇ و و ۉ چ (نوح : ٢٥) بين أن الآية تدل على أن من مات غرقاً أو حرقاً أو أكلته السباع أو الطير أو الحوت أصابه ما أصاب المقبور من عذاب القبر وأنشد ابن الأنباري :

الخلق مجتمع طوراً ومفترق والحادثات فنون ذات أطوار

لا تعجبن لأضداد إذا اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار (٤)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٥/٥ ، حديث رقم ٤٣٦٠)

(٢) (بيان المعاني ٢٤٧/٤) . وانظر مزيداً من الأمثلة على ذلك (بيان المعاني ٤/ ٢٠٧،٤٦) .

(٣) (بيان المعاني ٥١٢/٤) والبيت لأوس بن حجر انظر ديوانه: ١١٦) .

(٤) (انظر: بيان المعاني ٢٦٩/٤)

وقد يستشهد بالشعر في بيان اللغات الواردة في الألفاظ القرآنية [1] **وفي المعاني** البلاغية وفي الزهر[2] وتأييد معنى الآية [3] ، وتفسير الشيخ مليء بمثل هذه النماذج الشعرية .

ب) معاني الألفاظ

يذكر الشيخ عبد القادر المعنى اللغوي لألفاظ القرآن الكريم ، وقد يتبعه ببيان المعنى الشرعي لذلك اللفظ ، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى : چ چ (النحل : ٧٢) **الحافد** : لغة : **المسرع في الخدمة المسارع إلى الطاعة ،وشرعاً على ولد الولد** [4]ويتعرض أحياناً لبيان الفروق اللغوية بين الألفاظ القرآنية ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى : چ چ چ چ چ (الجاثية : ٢٤) **فقال** : واعلم أن الدهر اسم **لمدة العالم من** مبدئه إلى منتهاه ، ويعبر به عن كل مدة طويلة بخلاف الزمن فإنه يقع على القليل والكثير[5] .

ج) البلاغة :

لقد كان المفسر يتعرض أحياناً لذكر الصور البلاغية في الآيات القرآنية معرفاً بها وموضحاً لها ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى : چ چ (الزخرف : ٧٢) **فقال** : أي الله تعالى ما استحقوه بأعمالهم الصالحة من الجنة ونعيمها الباقي لهم ،بما يخلفه الرجل لوارثه من الأملاك و الأموال ، ويلزم من هذا التشبيه تشبيه العمل نفسه بالمورث بكسر الراء فاستعير الميراث لما استحقوه ، ثم اشتق ( ) ، فيكون هناك استعارة تبعية وقيل تمثيلية وجاز أن تكون مكنية فالتبعية هي التي لا تجري الاستعارة فيها ابتداءً غير اسم الجنس بل تبعاً وردها السكاكي إلى المكنية ، وهي لفظ المشبه به المتروك المستعمل في المشبه المرموز إليه بذكر لازمه ، كلفظ السبع المتروك **في قولنا** :أظفار المنية نشبت بفلان ، والتمثيلية هي الهيئة الحاصلة في الذهن **المنتزعة من عدة أمور نحو** : إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، لمن يتردد في الفتوى و الأمر ، ولكل أقسام مذكورة في محلها ،ومن أراد تمام الإطلاع على هذا فليراجع علم البيان[6] .

---

(١) (انظر : بيان المعاني ٣٦٩/٤)
(٢) (انظر: بيان المعاني ٦٥/٤)
(٣) (انظر: بيان المعاني ١٧/٤)
(٤) (بيان المعاني ٣٦٩/٤)
(٥) (بيان المعاني ١١٧/٤)
(١) (بيان المعاني ٨٥/٤)

رابعاً : علوم القرآن الكريم

أ) المناسبات

المناسبة في اللغة : المشاكلة والمقاربة تقول :فلان نسيب فلان أي قريب منه .

ذكر أنه لابد من وجود مناسبة بين كل سورة و أخرى ومن ذلك ما ذكره من مناسبة سورة المعارج لسورة الحاقة حيث قال : لما خوف حضرة الرسول ﷺ قومه بعذاب الله وعظمه أمامهم إذا هم لم يؤمنوا ويكفوا عما يصمونه به من الشعر والكهانة المشار إليهما في السورة المارة نزل بعد ذلك ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (المعارج : ١) فقال بعضهم لبعض ما هو العذاب الذي يهددنا به ولمن يكون يا ترى ...

وقل : ولهذه المناسبة قد نزلت هذه بعدها ،لأن ما بين كل سورة وأخرى لا بد من وجود مناسبة [١] وقد يذكر أيضاً مناسبة الآية لما قبلها ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى :ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ (فصلت : ٣٦) فقال : واعلم أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو دفع ما يتوهم إن فعل ذلك بمقابل إساءة الغير قد يكون ذلاً أو خوفاً أو عاراً من الناس ، وإن حصول هذه الوساوس من الشيطان الذي لا يريد إلا الشر للإنسان كيف وقد حذرنا الله منه بقوله عز وجل ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ (النساء : ٦٠) [٢] .

ب) أسباب النزول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)

إن مذهبه العموم حيث قال عند تفسير قول الله تعالى : (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة) وهذا تمثيل للمؤمن مطلقاً أيضاً وما قيل إن هذه الآية نزلت في أبي جهل وحضرة الرسول ﷺ أو في أبي بكر أو في عمار بن ياسر أو عمر أو عثمان أو حمزة على اختلاف الأقوال في ذلك ، وعلى فرض صحة هذا السبب لا يقيدها عن عمومها ولا يخصصها عن إطلاقها ،لأن العبرة دائماً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٣] .

ج) قوله بعدم الزيادة في القرآن الكريم

يذكر الشيخ في مواطن عديدة من تفسيره بأن كلام الله تعالى مبرأ عن الزيادة كما هو منزه عن النقص ولا يتطرقان إليه ألبتة.

---

(٢) (بيان المعاني ٤/٤٠٦)

(٣) (بيان المعاني ٤/١٨)

(١) (بيان المعاني ٤/١٩)

ومن ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ (النمل : ٢٣) :
وقيل : إن ((من)في الآية صلة أي زائدة ، وليس بشيء ، إذ لا زائد في القرآن ولا يوجد فيه حرف إلا وله معنى خاص أو عام)[١] .

د) رأيه في الحروف المقطعة في فواتح السور :

يقول في تفسيره فاتحة سورة الشعراء :طسم: القول في معناه كالقول في معنى ألم وبقية الحروف المقطعة ، وعلى القول بأن هذه اللفظة قسم من الله تعالى فيقال : إنه أقسم بطوله وسنائه وملكه وعلى القول بأنها مفاتيح بعض أسمائه تعالى فهي مفتاح اسمه السلام و المالك والمحيي و شبهها والصحيح أنه رمز بين الله ورسوله ...)[٢] و في تفسيره فاتحة سورة الشورى يقول : وفيه من مبادئ أسماء الله الحسنى الحليم و المالك و العالم و السلام و القهار و القادر و يكون اسماً للسورة و لا يعلم المراد منه على الحقيقة إلا الله تعالى [٣]، ثم عند تفسيره فاتحة سورة الدخان جهل الناس معنى هذه الفواتح من معجزات القرآن فقال : حم : تقدم ما فيه وهو رمز بين الله ورسوله ﷺ لا يعلمه غيرهما وهذا من معجزات القرآن أن المنزل عليهم لا يعلمون وقت إنزاله أن هناك كلمات معروفة عند المخاطب أو المخاطب مجهولة عند غيرهما ، ومنه أخذت الملوك الرموز فيما بينهم لا يعرفها غيرهم [٤] .
وعند تفسيره سورة البقرة ذكر قريباً من الكلام السابق ، وذكر كلام الشعبي [٥] بأنها سر الله فلا تطلبوه، ثم قال :"و قد استأنس بعض الشيعة فاستنبط جملة من أوائل هذه السور تدل على خلافة علي كرم الله وجهه بعد حذف المكرّر منها وهي (صراط علي حق نمسكه) وهي من الظرائف" [٦] .

مما سبق نرى أن المفسر ذكر أقوالاً في معنى الحروف المقطعة وهو يرى – كما رأينا من أقواله - أنها مجرد اجتهاد ليس إلا ثم يرجح القول بأنه لا يعلم المراد منها على الحقيقة إلا الله تعالى وأنها جاءت على سبيل التحدي والتنبيه لكون القرآن الكريم معجزا لا يضاهى .

---

(٢) (بيان المعاني ٧٩/٥) وانظر كذلك (بيان المعاني ١٤٨/١، ٥١٦/٦) .
(٣) (بيان المعاني ٢٥٦/٢)
(٤) (بيان المعاني ٢٧/٢)
(٥) (بيان المعاني ٩٢/٢)
(٦) عامر بن شراحيل الشعبي – بفتح الشين المعجمة – أبو عمرو ، ثقة مشهور ، فقيه فاضل ، من الطبقة الثالثة ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه ، مات بعد المائة ، وله نحو ثمانين . (تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر ص ٢٨٧ ترجمة رقم ٣٠٩٢ ط دار الرشيد) .
(١) (بيان المعاني ٥/ ٤) وانظر تفسير الشيخ عبد القادر لفواتح السور في (بيان المعاني ١/ ٧٥ ، ٢٥٧/١، ٤٧٥/٣)ففي جميع هذه المواضع لا يخرج كلامه عما ذكرته سابقا من رأيه في فواتح السور .

ثم إنني أقول إن الأسلم في الحروف المقطعة في أوائل السور السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثا بل لحكمة قد لا نعلمها.

خامساً : الاتجاه الفقهي في تفسيره :

يعرف الشيخ عبد القادر الحكم الشرعي بقوله : " هو وجوب اعتقاد ما قرره هذا المذهب الحق وأجمع عليه جمهور المحققين ورفض قول المبتدعة وتفسيقهم" [١] .

عادة ما يختم المفسر الآية بذكره لبعض الأحكام الشرعية المتفرعة عن الآية ومن ذلك : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) فبعد أن فسر الآية ذكر الحكم الشرعي فقال : **الحكم الشرعي : أن** الولد الصغير يحكم بإيمانه إذا مات قبل بلوغه تبعاً لأحد أبويه لأنه يتبع أحسن الأبوين في الدين ويتبع أمه في الرق إلا أن تعتق فتكون حرة [٢] .

ولم يكن الشيخ عبد القادر يتوسع في المسألة الفقهية بل يعرض لها بصورة مختصرة سهلة محيلا تفصيلها الى كتب الفقه ، وهو ينقل من كتب الفقه على اختلاف مذاهبها ، وما وجدته يرجِّح مذهبا على غيره ، بل يرجِّح رأي الجمهور ورأي الأمة [٣] .

سادساً : الاتجاه العقدي في تفسيره :

وكان ذا نزعة صوفية تظهر دائماً في ثنايا كتابه كما يظهر مغالاته في حبه لآل البيت حتى إن المتصفح لكتابه لأول وهلة يحسبه شيعياً ، كما أنه يذكر الكثير من المصطلحات الصوفية التي يستخدمونها في كتبهم مثل : **العارفون ، حضرة الرسول** ﷺ ، قدّس سره ونوّر ضريحه ، الحضرة الإلهية المقدسة الجليلة ، الكاملون أو الكمّل ، كما يذكر بعض القصص التي حصلت للكاملين كما يسميهم من مثل ما وقع لكثير من الكاملين من رؤيته ﷺ مناماً والأخذ منه ،كما وقع لبعضهم رؤيته يقظة والأخذ عنه كالشيخ عبد القادر الجبلي وغيره [٤] وقد يستدل بأقوال للصوفية [٥]وقد يعرض عنها لطولها وكثرتها[٦] ثم إنه كثيراً ما يستشهد بأقوال علي رضي الله عنه حيث عقد مطلباً فيما قاله ابن عباس لمن سأل علياً رضي الله عنه [٧] .

---

(٢) (بيان المعاني ١/٢٩٤)

(٣) (بيان المعاني ٤/٣٨٥)

(٤) (انظر مثلاً : بيان المعاني ٢/٤٠٥، ٦/١٣٧)

(١) (انظر بيان المعاني٤ /٨٠-٨١)

(٢) (انظر مثلاً : بيان المعاني٤ /١٩٦)

(٣) (انظر : بيان المعاني ٤/٤٠٧)

(٤) (انظر بيان المعاني ٤/٣٤٥)

فصّل الشيخ عبد القادر في تفسيره لآيات الصفات وفرّع مقرِّرا مذهب أهل السنة و الجماعة .

فمن ذلك أنه عقد مطلباً بعنوان " العرش ومعنى الاستيلاء عليه "

فقال : " أما عرش الرحمن فهو شيء يليق بذاته لا يعلم حقيقته على الحقيقة إلا الله ... هذا ، وقد روى عن أبي شيبة [1] في كتاب صفة العرش ، والحاكم في مستدركه [2] ، وقال على شرط الشيخين ، عن سعد بن جبير عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره الا الله ، وبما أن من هذه من آيات الصفات التي جرى السلف على ظاهرها دون تأويل أو تفسير ، ومشى الخلف على خلافه ، فقال بعضهم إن العرش كناية عن ملك الله وسلطانه ، وهو غير سديد لمنافاته ظاهر القرآن والحديث ، لأنه إذا كان كما قيل فكيف نقنع بقول الله چ ژ ژ ڑ چ (الحاقة : ١٧) إلخ الآية المذكورة آنفا ، وقوله تعالى چ ے ۓ چ الآية : ٧ من سورة المؤمن في ج ٢ ، أيقال يحملون ملكه وسلطانه ؟ ... "

ثم قال في تفسير الاستواء على العرش : " ...فالأولى أن يفسر بما فسرناه هنا من أنه استواء يليق بذاته كما هو الحال في آيات الصفات ، من المجيء ، واليد ، والقبضة ، وغيرها ، لأن القانون الصحيح وجوب حمل كل لفظ ورد في القرآن العظيم على ظاهره ، إلا إذا قامت الأدلة القطعية على وجوب الانصراف عن الظاهر ، ولا داعي للتأويل [3] بما قد يوجب الوقوع في الخطأ وزلة القدم ..."

ثم أخذ يستشهد بأقوال السلف الصالح الذين جرَوْا على حمل آيات الصفات على ظاهرها دون تأويل أو تفسير يقول الشيخ عبد القادر : " ... أهل السنة يقولون في الاستواء على العرش صفة لحمله بلا كيف ، يجب على الرجل الايمان به وَيَكِل العلم به إلى الله ، وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء أهل السنة أن هذه الآيات التي فيها الصفات المتشابهة تقرأ كما جاءت بلا كيف ...وقد قدمنا غير مرة بأن طريقتنا في هذا التفسير الجليل حمل كل لفظ ورد في القرآن العظيم على ظاهره ، إلّا إذا لم نتوصل لفهمه وورود الدليل القاطع النقلي والعقلي يصرفه عن ظاهره ، فإنما نعدل عنه ضرورة ونرجع الى التأويل بما نقتبسه أولا من القرآن لأن في بعضه تفسيرا لبعض ، ثم في الحديث لأن قول

---

(٥) هو عبد بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي ، حافظ للحديث . ولد سنة ١٥٩ هـ من مؤلفاته المسند والمصنف في الحديث والآثار توفي سنة ٢٣٥ هـ (الأعلام = = للزركلي ٤ / ١١٧ ط دار العلم للملايين) .

(٦) المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم كتاب التفسير باب من سورة البقرة ٢ / ٣١٠ حديث رقم ٣١١٦ ط دار الكتب العلمية .

(١) فالأسلم والأحكم اتباع طريقة السلف أما طريقة التأويل أعني الخلف فيؤخذ بها عند الرد على المبتدعة وغيرهم .

الرسول شرح له ، ثم إلى أقوال الأصحاب الكرام الخزامى ...ثم لأقوال أتباعهم من السلف الصالح ولأقوال العلماء المفسرين له الأمناء عليه الأتقياء الذين نور الله قلوبهم بمعرفته قال تعالى چ ى چ الآية ٢٨٤ من سورة البقرة في ج ٣ وهذا ما عليه السلف الصالح والخلف الناجح والاقتداء بهم أسلم ، والأخذ بقولهم أحكم ، والله أعلم " [١] .

سابعاً : اهتمامه بالتفسير الإجمالي للآيات القرآنية :

يهتم الشيخ بالتفسير الإجمالي حيث يعرض لتفسير الآيات تفسيراً إجمالياً ثم إن تعددت موضوعات الآية فإنه يعرض تلك الموضوعات على شكل مطالب وتتنوع هذه المطالب إلى مطالب عقدية ولغوية وفقهية و تربوية وعلمية ومن ذلك مثلاً عند تفسير قول الله تعالى : چ ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ چ (الشورى : ٧) قل : مطلب تسمية مكة أم القرى وقوله ليس كمثله شيء وإقامة الدين وعدم التفرقة فيه ومقاليد السموات [٢].

ثامناً : عدم التكرار في معالجة بعض القضايا التفسيرية :

ومن منهج الشيخ عدم التكرار بل يحيل على موضع سابق أو لاحق ، ومن ذلك عند تفسير قول الله تعالى : چ ى ى چ (فاطر : ١١ يريد به آدم ،لأنه أصل البشر والمعنى أنه اشتق حواء من آدم كما اشتق السماء من الأرض راجع الآية ٢٧ من سورة الحج وأول آية من سورة النساء في ج٣ و الآية ١٨٩ من الأعراف في ج١ .

وقد يحيل في تفسير الموضوع مفصّلا في آيات سابقة وقد يذكر طرفا من القصة ثم يذكر أنه سيتمّها ، في سورة أخرى ؛ لان محلها هناك وإنما ذكرها هنا لمناسبة ورود ما يتعلق بها ، أي هو يذكر القصة كاملة في محلها الأصلي ويشير إلى بعضها في غير محلها ، وذلك عند تفسير قول الله تعالى چ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ چ [٣] فقل : ثم قصدوا الغار فرأوا العنكبوت معشعشاً عليه فقالوا : لو دخله لتمزق نسيج العنكبوت و سنأتي على بقية هذه القصة بعد تفسير المطففين الآتية لأن محلها هناك وإنما سبقنا بذكرها هنا لمناسبة ذكر الهجرة من إخوانه الأنبياء المار ذكرهم [٤].

المطلب الثاني : المزالق والعثرات التي وقع فيها الشيخ عبد القادر في تفسيره

---

(٢) (انظر بيان المعاني ٢/١٨٢-١٨٥)

(٣) (بيان المعاني (٤/٢٨)

(١) سورة يس آية : ٨ .

(٢) بيان المعاني (٤/٤٨١)

أولاً : موقفه من الإسرائيليات :

نرى المفسر يناقض نفسه في هذا الموضوع فهو في مكان تراه يورد حديث النبي ﷺ في شأن أهل الكتاب : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم [1] ، ثم تراه في مكان آخر يستشهد بافتراءات بني إسرائيل على أنبيائهم فمن ذلك : أن داود عليه السلام رأى زوجة أوريا فأعجبته وكان في زمانه جواز سؤال الرجل أن يتنازل للغير عن زوجته ، وكانت هذه عادة متفشية بينهم و أهل زمانه لا يرون به بأسا لكثرة وقوعه ولا تزال هذه العادة حتى الآن لدى عرب البادية –كما يقول - فطلب من زوجها أن يتنازل عنها فتنازل له[2] .

إن تفسيره موسوعة من الإسرائيليات وهو يذكرها مستوفية غير ناقصة ومن ذلك ما أورده في سورة هود عن لوط عليه السلام وبناته وضيوفه [3] ، وما كتبه أيضاً عن قصة يوسف عليه السلام [4] وداود وسليمان عليهما السلام ، ولست هنا بصدد النقل لأن ما كتبه ليس صفحة أو صفحتين بل إنك تجد في القصة الواحدة في السورة الواحدة عشرات الصفحات من الأقاصيص التي يُستغنى عنها وتقلل من ضخامة هذا التفسير خصوصا أنها من الاسرائيليات التي يجب أن تُنزّه عنها التفاسير .

ثانياً : تناقضه في تفسيره لآيات القرآن الكريم :

ومن ذلك تناقضه في إثبات رؤية الله عز وجل في الدنيا وذلك عند تفسير قول الله تعالى من سورة الشورى : چ ى ى ې ې

چ الشورى : ٥١ فقال : ولرؤيته ﷺ لربه عز وجل في الدنيا من خصوصياته أيضاً وهي حق ثابت لا مرية فيه ، ولم يره بالدنيا بعينيْ رأسه غيره ولم يكلمه أحد مشافهة مع الرؤية غيره أيضا. وقد ثبت لموسى عليه السلام تكليم الله فقط من غير رؤية [5]بينما يثبت هذه الرؤيا عند تفسير قول الله تعالى من سورة الأعراف (وخر موسى صعقاً)[6] . وهذا أنموذج من تناقضه الكثير في تفسيره للآيات .

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٨٥ و٧٣٦٢ و٧٥٨٢)قال : حدثنا محمد بن بشار . و"النسائي" في "الكبرى" ١١٣٢٣قال : أخبرنا محمد بن المثنى. والبيهقي في سننه الكبرى حديث رقم: ٢٠٤٠٢ وابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ١٠١٦١ (انظر بيان المعاني ٤/٤٨٨)

(٤) (انظر بيان المعاني ٤/٣٠٥-٣٠٦

(١) (انظر بيان المعاني ٣/١٣٩)

(٢) (انظر بيان المعاني ٣/٢٢٦)

(٣) (بيان المعاني ٤/٥٨)

(٤) (بيان المعاني ٤/٤١٨)

ثالثاً : استشهاده بالضعيف والموضوع من الحديث :

وتضعيفه للأحاديث الصحيحة مع أنه يذكر عند تفسير قول الله تعالى(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً)(العنكبوت)حديثاً في التدليل على سنية قتل العنكبوت فقال : وهي من ذوات السموم ويسنّ قتلها لذلك لما أخرج أبو داود في مراسيله عن يزيد بن مرثد من قوله ﷺ:" العنكبوت شيطان مسخها الله تعالى فمن وجدها فليقتلها " ثم قال هذا حديث ضعيف(١)

، ثم أتبع ذلك بقوله : كل ما لم تتحقق صحته لا يصلح للاحتجاج لاشتراط القطع بصحة ما يحتج به في الأحكام القولية والعقلية. (٢)

ويا ليته يفعل في كل حديث ذلك ،إذ إنه متناقض في منهجه في الاستدلال بالحديث فتارة يذكر ضعف الحديث وينبه على عدم الاحتجاج به وتارة يذكر الحديث الضعيف ولا ينبه على ضعفه وتارة لا يجزم بصحة الحديث فيقول :إن صح ذلك ، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى چ ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ چ العنكبوت : ٦٩ ، فقال : قال عبد الله بن المبارك : من اعتاصت عليه مسألته فليسأل أهل الثغور(٣) لقوله تعالى چ ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ چ لأن الجهاد هداية أو مرتب يدل على الهداية قال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى) وجاء في الحديث " من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم" (٤)

وهذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس وهو ضعيف (٥) .

رابعاً : مخالفته لصريح القرآن وصحيح السنة وإجماع الأمة

يقول الشيخ عبد القادر عند تفسيره قوله چ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ چ القصص: ٥٦: " هذا وقد وردت أخبار وأحاديث بإسلامه - أي أبي طالب - عند الموت عن ابن عباس وغيره ، وأخبار أخرى بأن الله تعالى أحيا لحضرة الرسول أبويه وعمه أبا طالب وآمنوا به (٦) ، وإن

---

(٥) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ٢٨٣) : موضوع.

(٦) (بيان المعاني (٤٨٣/٤)

(١) أهل الثغور هم أهل الموضع من البلاد التي يخاف منهم هجوم العدو . (المصباح المنير مادة : ثغر صـ ٨١) وهم المجاهدون في سبيل .

(٢) (بيان المعاني ٥٠٨/٥)

(٣) انظر: حلية الأولياء (١٠١٥) وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٦١١) رقم (٤٢٢) موضوع .

(٤) قال ابن الجوزي في الموضوعات (١: ٢٨٤) بعد أن ذكر حديثا لبلالا موضوعا فيه أن أحيا أبوي النبي (ﷺ) ليؤمنا به، قال: [هذا حديث موضوع لا يشك فيه، والذي وضعه قليل الفهم، عديم العلم، إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافرا لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة، لا إلى دار بعد المعاينة، ويكفي في رد هذا الحديث قوله تعالى " فيمت وهو كافر"، وقوله(ﷺ).. وذكر ابن الجوزي حديث الاستئذان..].

أقوال أبي طالب هذه تدل صراحة على تصديقه لحضرة الرسول وإيمانه به ، أما أبواه فهما من أهل الفترة لأن أباه توفي قبل ولادته بشهرين ، وأمه بعدها بست سنين ، فلم يحضرا البعثة وكل من لم يحضرها فهو من أهل الفترة ، وأهل الفترة كلهم ناجون ... ولهذا فالأحسن أن يميل العاقل إلى إسلامه وإسلام أبوي النبي ﷺ لأن القول بخلافه يؤذي أهل البيت ، وربما يؤذى حضرة الرسول في قبره الشريف ، وما على الله بعزيز أن يحييهم حتى يؤمنوا به وصدق من قال :

ولأجل عين ألف عين تكرم ، هذا واعلم بأنّ وفاته محققة بالتاريخ المذكور أعلاه (نصف شوال من السنة العاشرة من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين وأربعة أشهر) وإذا كان كذلك وهو كذلك فإن هذه الآية لم تنزل بحقه ، لأن بين نزولها وموته مدة كثيرة ، ويوشك أن حضرة الرسول قرأها عند وفاته لانطباق معناها على ما في قلبه الشريف من محبة هدايته وتكرار أمره له بالإيمان بربه ، وجوابه له بنحو ما ذكر يستدعي تلاوة هذه الآية ، على أن جمهور المفسرين قالوا بنزولها في أبي طالب ، وهذا لا يتجه إلا أن تكون هذه الآية مؤخرة في النزول عن سورتها أو أنه قرأها في حياته بحضوره ، وعلى هذا تكون نازلة بحقه ، إلا أن أحدا لم يقل به ، هذا والله أعلم " .

ما ذكره الشيخ عبد القادر من اسلام ابي طالب وأبويْ النبي ﷺ لا يجوز أن يُلتفت إليه مع ما ثبت في الأحاديث الصحيحة أن أبا طالب مات على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله[1] ، وأن أبَوَيْ النبي ﷺ ليسا بمسلمين[2] وما جاء الإشارة إليه في كتاب الله ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ﴾ التوبة: ١١٣ والرأي الذي جاء به الشيخ هو مذهب الرافضة في أن أبا طالب ناجٍ، وعبد المطلب ناجٍ ، ثم إن من جهل الرافضة - كما يقول ابن تيمية - " إنهم يعظّمون أنساب الأنبياء : آباءهم وأبناءهم ويقدحون في أزواجهم ؛ كل ذلك عصبية واتّباع هوى حتى يعظّمون فاطمة والحسن والحسين ، ويقدحون في عائشة أم المؤمنين ، فيقولون - أو من يقول منهم - : إن آزر أبا إبراهيم كان مؤمنا ، وأن أبوي النبي كانا مؤمنَيْن، حتى لا يقولون : إن النبي يكون أبوه كافرا ، فإذا كان أبوه كافرا أمكن أن يكونَ ابنه كافراً ، فلا يكون في مجرد النسب فضيلة ..." [3] .

---

(١) انظر نص الحديث في : البخاري في الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ٣ / ٢٢٢، وفي مناقب الأنصار: ٧ / ١٩٣، ومسلم في الإيمان، باب = = الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع، برقم (٢٤): ١/ ٥٤، والمصنف في شرح السنة: ٥ / ٥٥ .

(٢) وحديثهما في صحيح مسلم الأول برقم (٣٠٢) قال رسول الله ﷺ لرجل: (إن أبي وأبك في النار) وقال النووي في شرحه: فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين إلخ والحديث الآخر برقم (١٦٢١) قال رسول الله ﷺ: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)

(٣) (منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام بن تيمية ٤/١٩٢)

وقد بسط الكلام في عدم نجاة والدَيْ النبي ﷺ العلامة الحنفي الملاّ علي بن سلطان القارئ في (شرح الفقه الأكبر)، وفي رسالة مستقلة أسماها: (أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام). وقد أثبت بذلك الكتاب تواتر الأدلة والأحاديث على صِحّة معنى هذا الحديث وعدم نجاة والدي الرسول ﷺ وقد نقل الإجماع على تلك القضية فقال في (ص٨٤): «وأما الإجماع فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك، من غير إظهار خلافٍ لما هُنالك. والخلاف من اللاحق لا يقدح في الإجماع السابق، سواء يكون من جنس المخالف أو صنف الموافق».

وأما القول بأن أبوي النبي ﷺ في النار إيذاء لحضرة النبي ﷺ في قبره الشريف وايذاء لأهل بيته :

فالجواب : إن هذا القول تصديق لقوله ﷺ وليس إيذاءً له ﷺ وهل هؤلاء العلماء كانوا يقصدون إيذاء النبي ﷺ :

١ - الإمام مسلم: حيث روى في صحيحه حديث «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ».

٢ - الإمام أبو داود صاحب السنن: حيث روى نفس الحديث مع أحاديث أخرى وعنون عليها: باب في ذراري - أي أبناء - المشركين.

٣ - الإمام النسائي: حيث روى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: زار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» وعنون عليه الإمام النسائي: باب زيارة قبر المشرك...

وغيرهم من الأئمة ...[1] .

يتبيّن لنا مما سبق أن الرأي الذي جاء به الشيخ عبد القادر فيما يتعلق بأبوي النبي ﷺ وبعمه أبي طالب إنما هو رأي الشيعة الذين لا يعتبرون القرآن وما صححه أهل السنة من الأحاديث وما أجمع عليه علماء الأمة حجة .

وهناك من يخالف هذا الاتجاه ويرى نجاة أبويْ النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى كتاب (مسلك الحفا في والدي المصطفى) للإمام جلال الدين السيوطي .[2]

---

(١) انظر : كشف شبهات الصوفية ، شحاته محمد صقر ص١٨٧ .

(٢) هذا كتاب مطبوع بتحقيق د / محمد زينهم محمد عزب ط دار الأمير .

المطلب الثالث
تفسير (بيان المعاني) ومنهجه في الميزان

أولاً : مزايا وخصائص تفسير الشيخ عبد القادر

يحرص الشيخ عبد القادر على المأثور من كتاب الله –تعالى- وسنة الرسول ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين ، والعناية باللغة والنحو ، وكذلك عنايته بعرض موضوعات العقيدة المختلفة ، وعنايته أيضا بعرض المسائل الفقهية وخلاف الفقهاء ، ولم يكن الشيخ عبد القادر يتوسع في المسألة الفقهية بل يعرض لها بصورة مختصرة سهلة مُحِيلاً تفصيلها الى كتب الفقه ، وكذلك عنايته بعرض بعض علوم القرآن الأخرى من مثل أسباب النزول،كما اهتم بالمناسبات بين الآيات والسور، وقام بالتنبيه على السور المكية والمدنية في بداية كل سورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها ووجود ناسخ أو منسوخ فيها أم لا ، وهل يوجد في القرآن سورة مبدوءة أو مختومة بما بدئت أو ختمت به السورة التي هو في صدد تفسيرها ؟

تجنّب الشيخ عبد القادر في تفسيره ما ولع به كثير من المفسرين من الاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير ، كما تجرّد تفسيره من الاصطلاحات العلمية الخاصة بعلوم العربية و الفقه والعقيدة إلى حد ما ، مما جعله سهل الفهم واضحا لدى سائر الدارسين والقراء .

ومن منهج الشيخ عدم التكرار بل يحيل على موضع سابق أو لاحق فهو يحيل إلى المسائل السابقة التي مرّ تفسيرها دون أن يعيد ما ذكره مرّة أخرى ، ويذكر لنا اسم السورة ورقم الآية ورقم الجزء .

ومما يعدّ من الميزات للشيخ عبد القادر في تفسيره : أنه ابتعد عن ظاهرة التعصب المذهبي ، فما وجدته يرجِّح مذهبا على غيره ، بل يرجِّح رأي

الجمهور ورأي الأمة لذا فالشيخ عبد القادر كان يحرص على اتباع الدليل ، والترجيح بناء عليه، مما أبعده عن ظاهرة التعصب المذهبي .

استمدّ الشيخ عبد القادر مادته التفسيرية من أمهات كتب التفسير –كتفسير الرازي والكشاف وروح المعاني وغيرها- على تنّوع موضوعاتها .

ثم مما يدل على دقة الشيخ عبد القادر وأمانته العلمية في تأليفه لهذا التفسير ، اهتمامه –غالبا- بنسبة الأقوال إلى أصحابها .

ثانياً : المآخذ على تفسير الشيخ عبد القادر :

قال الشيخ عبد القادر أثناء بيانه منهجه في التفسير في مقدمة تفسيره :"وحقا إن أهل هذا العصر بحاجة ماسّة إلى تفسير كهذا جامع مانع جار على أسلوب حسن بسيط مختصر غزير كاف ، يطلعهم على حقائق كتاب اللّه بصورة قد يستوي فيها الخاص والعام ، وهذا غاية ما أقصده من المجيب السميع ..."[1] .

أقول : إن ذكري للميِّزات السابقة لتفسير الشيخ عبد القادر لا يعني الرضا والقبول لمثل هذا التفسير وما جاء فيه ، ولكنه الانصاف الذي يلتزمه منهج البحث العلمي من أن لكل شيء مزايا كما له مزالق وعثرات ، ومن الحق أن نقول إن هذا التفسير جامعٌ فعلاً ولكن ليس فقط للخير بل فيه ما هو غريب وضار ومنكر وموضوع ، وينبغي أن يحال بين هذا الكتاب وأهل هذا العصر – مع ما فيه من مزايا - الذي يطعن صاحبه في أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى –كما سبق معنا –فإذا كان الخازن – كما يسمّيه البعض – خازنا للإسرائيليات – مع أنه لا يستغني عنه الواعظ – فإن الشيخ عبد القادر خازن لا للإسرائيليات فحسب، بل وللأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص العجيبة .

---

(١) (بيان المعاني ١/٣) .

إن الشيخ عبد القادر لم يأت بجديد في تفسيره ، ونحن لا نكلفه ذلك ، بل نكتفي منه بما لا يغرب في القول ، ولكنه – **وللأسف** – لم يترك ما سار عليه من التخبّط في التفسير والامعان في الخرافات في **القصص وحتى في مسائل** العقيدة ، ومن اغرابه في كل شيء ، الى غير ذلك مما أشرنا اليه سابقاً .

الخاتمة

وأخيراً أقول في نهاية هذا البحث : إن هذا التفسير وأمثاله يستدعي من العلماء عدم السكوت ، بل يجب سبر غوْر هذا التفسير وأمثاله وبيان انحرافاتها ، كما يستدعي الرقابة لكل ما يكتب ولكل من يزعم تفسير كتاب الله تعالى من امثال الشيخ عبد القادر .

ولست في هذه العجالة وفي هذا البحث المختصر أزعم بأنني استوفيت التفسير حقه من البحث والسبر ، فهذا بحاجة الى دراسة مطولة لا يسعها هذا البحث المختصر ، ولكنها الاشارة السريعة الى ما احتواه هذا السفر العجيب من الاغراب والقصص العجيبة والآثار الواهية ، تاركاً المجال الى الباحثين والعلماء لسبر غور هذا التفسير ، وبيان المزالق والعثرات والعجائب التي حواها هذا التفسير ، خاصة أننا نطالع هنا وهناك وعلى مواقع الانترنت مَنْ يُثني على هذا التفسير ويطالب أبناءه وأحفاده أن يحيوا هذا الإرث العظيم ويطبعوا التفسير مرة أخرى ، وانظر ما يقوله الشّيخ محمد بن محمد هاشم الشّريف مستشار المحكمة الشّرعية السّنية العليا ببيروت في أحد مواقع الانترنت مثنياً على هذا التفسير : " وبعد، فإن الله سبحانه قد وفقني إلى **الاطلاع** على التفسير القيم للقرآن العظيم المسمى (بيان المعاني) لمؤلفه العلامة الفاضل السّيد عبد القادر ملا حويش آل غازي، هذا التفسير الذي لم يسبقه إليه سابق إذ جمع فيه مؤلفه فأوعى، إذ ذكر أسباب النزول وقصص الأولين، واستخرج من الآيات ما فيها من الأحكام الشّرعية والعبر والمواعظ الإلهية، بأسلوب أدبي رائع لا يمل القارئ من مطالعته، ولا يسأم من قراءته، بل كلما تعمق في سبر غوره، ازداد تعلقا به واستمساكاً بأهدابه، فهو السّهل الممتنع الذي كثرت فيه المواضيع العلمية، والمعاني البيانية، والأساليب الأدبية، والحكم والمواعظ الدّينية. وإن من يطالع فيه ليخيل إليه أنه في بستان صنعته يد القدرة على أبدع مثال، وأروع منوال، لما اشتمل عليه من شهي الثمار وبديع الأزهار، ومختلف

الأوراد والأطيار، يحار فيه القارئ من أي ثمر يجني، أو من أي عبير يستنشق، أو إلى أي نغم يصغي، وبأي جمال يستمتع، وحقيق أن نقول فيه: **إن الوصف** ليعجز عن بيان حقيقته، وإن القلم ليعيا عن الإحاطة بأسراره وفوائده، فهو للعالم نور، وللأديب متعة، وللمسترشد هدًى وضياء" .

نسأل الله عز وجل أن يهيء لهذه الأمة علماء يذبّون عن دينه ويعتنون بكل ما يكتب حول كتاب الله تعالى ، فيميّزون بين غثّه وسمينه ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية- لبنان.
- اتمام الأعلام ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي للدكتور نزار أباظة ومحمد رياض صالح ، دار صادر-بيروت ، ط١ ١٩٩٩ .
- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام.
- البحر المحيط ، أبو حيان، مكتبة النصر الحديثة.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعرفة- لبنان.
- بيان المعاني، عبد القادر ملا حويش، مطبعة الترقي.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون- تونس.
- التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي.
- تكملة معجم المؤلفين . وفيات (١٣٩٧هـ-١٤١٥هـ) (١٩٧٧م-١٩٩٥م) .محمد خير رمضان بن اسماعيل يوسف . دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع .بيروت –لبنان .ط١ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

●ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.**أحمد العلاونة** . دار المنارة للنشر والتوزيع ، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)

●فواتح السور وخواتيمها، عبد العزيز الخضيري، رسالة دكتوراه لم تنشر.

●**في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق.

●مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم.

●محمد عزة دروزة وتفسير القرآن، فريد مصطفى سليمان، مكتبة الرشد.

●**المستدرك على تتمة الأعلام للزركلي (الأول والثاني)** لمحمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، ط١ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .

●**المستدرك على** الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم .**ط دار الكتب** العلمية .

●المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي . تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي . ط دار الكتب العلمية.

●مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية- طهران.

●نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار السلفية – الهند.